

صوت القوة الناعمة

بعد رحيل المطرب محرم فؤاد تنطوى صفحة جميلة من صفحات فن الغناء الجميل . فصوته كان يحمل تميزا بارزا بين أصوات جيله . وما بعدها..

وصوت محرم فؤاد هو القوة السلسة فلا تعثر في كل ما غناه على نعمة مخنثة أو مفتعلة وإذا كانت البلهارسيا واليتم قد كسرت صوت عبد الحلیم حافظ وكسوته بالحزن والأنين، فإن صوت محرم حسين أحمد على وهذا اسمه الحقيقي قد نما وترعرع في حى شبرا الشعبى بقيمه وقدراته المصرية المعروفة.

تعلم العزف على العود، ومارس التلحين منذ صباه بجانب الغناء، فكان المطرب المنفرد فى جيله بالتلحين الناجح لنفسه . وللآخرين . فقد تحمس لصوتى سوزان عطية ومدحت صالح ولحن لهما وأنتج أيضا.

والمتابع للمسيرة الغنائية لصوت محرم يلاحظ أنه بدأ كبيرا فى فيلم «حسن ونعيمة» عام ١٩٥٨ فقد كان صاحب تجربة غنائية طويلة فى ملاحى القاهرة بعد أن غنى أمام الملك فاروق فى مدرسة شبرا الابتدائية وغنى فى فرح أحد الأقارب فدعته واحدة من العوالم لزيارتها حتى تقدم له المساعدة المناسبة فى دنيا الاحتراف. ثم ظل يغنى فى الموالد وهو مازال طفلا، والمتابع سوف يلاحظ أيضا أن صوت محرم قد اختلف فى ملامحه بعد الفيلم السادس الذى صوره فى بيروت فقد أصابه الإجهاد الدائم باحتباس لم ينج منه إلا بعلاج مكثف فى مستشفيات جنيف بسويسرا ومع ذلك تغيرت ملامح صوت محرم إلى أكثر غلظة ومع ذلك لم يتأثر إحساسه القوى الرائع.

**محرم
فؤاد**



لقد عاش محرم عصر العمالقة محمد عبد الوهاب الذى أنتج له «حسن ونعيمة» ولم يلحن له على رغم أن محرم كان يغنى فى مرحلة ما قبل الشهرة أغنيات عبد الوهاب وفريد الأطرش الذى لحن له واحدة من أشهر أغاني مصر فى الستينيات وهى «يا واحشنى رد عليه»..

وعاش عصر عبد الحليم حافظ ولم يكرهه بل قال لى : أنتم تظلمون عبد الحليم عندما تقولون إنه «العندليب» فهو أكثر من عندليب لأن صوته فيه زقزقة كل أنواع الطيور الجميلة الصوت.

ولم يكن لمحرم جهاز علاقات عامة كما كان لمطربى عصره ولم يكن نجم سهرات ومجتمعات فهو لم يغن فى حفلات إذاعية أو تليفزيونية إلا نادرا ومع ذلك فقد أهله صوته لمكانة مرموقة فى الغناء، وساعدته ملامح الرجولة الجميلة فى وجهه لنجاح غير عادى فى السينما.

وكما كان عادلا فى إعطاء نجم الغناء الأول فى عصره عبد الحليم حافظ حقه، كان عادلا عندما دعيناه لينضم إلى لجنة التحكيم فى مسابقة نادى المواهب الشابة فى مجلة أكتوبر فقد كان من بين المتقدمين إليها طارق محرم فؤاد ابنه ولما جاء الدور عليه استأذن ليخرج حتى يترك الفرصة للحكم العادل.

لقد ظهر نبوغ محرم حسين فى الغناء منذ التحق بمعهد شفيق للموسيقى ثم بارتباطه بفرقة «ساعة لقلبك» واكتشاف عبد الرحمن الخميسى فى فيلم «حسن ونعيمة» الذى أصبح ملمحا من ملامح السينما العربية حيث قدم نجمين كبيرين شاءت الصدفة أن تكون ذكرى رحيلهما فى أسبوع واحد، هما سعاد حسنى ومحرم فؤاد. ومعهما ملحن القيلم ورفيق الطريق الطويل لمحرم. ذلك هو الموسيقار محمد الموجى الذى لحن لمحرم أعظم أغنياته وشنيناها معه فى مشواره الفنى الذى استحق أن نردد ما وصفته به الجماهير من أنه صوت النيل «أو فتى النيل» وما نصفه به على أنه صوت الرجولة الناعمة. أو صوت القوة السنسة.

كان من المتوقع. حسب قانون السينما الغنائية العربية. أن تتوقف مسيرة محرم فؤاد فيها بعد فيلمه «حسن ونعيمة» الذى عرض من إخراج هنرى بركات عام ١٩٥٩. ولو كتب له ان يستمر، فلعدة محدودة فى فيلم أو بضعة أفلام.

هذا ما حدث مع عبد الوهاب. وأم كلثوم. ومحمد قنديل. وكارم محمود. ومحمد عبدالمطلب. ومحمد الكحلأوى. ولم يستثن من القاعدة إلا محمد فوزى (٣٥ فيلماً) وفريد الأطرش (٣١ فيلماً) وعبد الحليم حافظ (١٦ فيلماً).

وحتى جيل محرم فؤاد من المطربين لم يخرجوا عن القاعدة كمال حسنى (فيلم واحد) هو ربيع العمر أمام شادية. وعادل مأمون (فيلمان) وماهر العطار (٥ أفلام) وعبد اللطيف التلبانى (٤ أفلام).

لكن محرم قام ببطولة كاملة لثلاثة عشر فيلماً، خمسة منها لبنانية الإنتاج، وواحد (عشاق الحياة) من إنتاجه، وهذا العدد الكبير اقترب به من مسيرة عبد الحليم حافظ السينمائية، وهذا الإنجاز يرجع لجمال وقوة وصوت محرم وصفائه، وأيضاً للوسامة والجاذبية التي منحها له الله بجانب موهبته في الغناء. والتلحين.

محرم مختلف في التركيبة الشكلية، وأيضاً النفسية. كان معتزاً بنفسه وبموهبته متمسكاً بأصوله الأولى من حيث نشأ في رحاب السلطان أبو العلا في حى بولاق ثم فى حى شبرا.

لم يمثل محرم أمام لجنة استماع الإذاعة التي تعتمد المطربين وكان لها قانون يحتم على الراغب فى الاعتماد أن يغنى غناء حياً أمام أعضائها. لكن النجاح الذى حققه محرم فى فيلمه الأول. والشهرة الطاغية التي نالتها أغنيتها الفيلم «رمش عينه اللى جارحنى» و«الحلوة داير شباكها» وهما من تأليف مرسى جميل عزيز وتلحين محمد الموجى. الذى أصر محرم فؤاد على ترشيحه لهذه المهمة، وكان المنتج قد رشح ملحننا آخر وهو النجم الكبير فى مجال التلحين، محمود الشريف. •

فوافقت اللجنة على قبول تسجيل الأغنية ليكون سبباً فى اعتماده لدى الإذاعة. ولم «تحرق» الصحافة (محرم)، فلم تكتب عنه. وتجاهلته إلا من بعض مقالات نقدية لفيلمه. ربما من باب مجاملة كاتب القصة عبد الرحمن الخميسى. أو للمخرج هنرى بركات أو للمنتج محمد عبد الوهاب.

ثم اعتمدت الإذاعة محرم ملحننا وكانت أول ألحانه «الحلو هوانى بمنديله» وبعدها غنى من ألحان عبد العظيم محمد «أسمر وحليوه زين» و«زى نور الشمس حبى وتنكره» ثم غنى من ألحان ملحن اسمه كامل أحمد على أغنية «خيالك فى عيني».

ثم دخل محرم مجال التلحين بجرأة، فقد نجحت أغنيته، قوللى بحبك قوللى.. عايز اسمعها تمللى؛ من تأليف حسين السيد فأصبحت أفلامه لا تخلو من لحن له. وظل محرم صديقا للموسيقار محمد عبد الوهاب على التليفون، وصديقا مقربا من عبد الحليم حافظ، وهو ما لا يعرفه كثيرون، وقد كان عبد الحليم - والعهددة على الراوى - وهو هنا محرم نفسه يتجه إلى منزله بعد كل حفلة له يجلسان معا، يفضض عبد الحليم لصديقه بأسراره وآماله وآلامه.

وكانت الناس تحكى الكثير عن حرب عبد الحليم لمحرم، تلك التى لم تكن تقل عن حربيه لفريد الأطرش. وقد كذب محرم ذلك لى. لكن ذلك لا يمنع أن محرم كان يضع نجاح عبد الحليم نصب عينيه، فقام أكثر من مرة بتمثيل دور مطرب، أو شاب فقير يصبح غنيا. وتعامل مع المخرجين الذين تعامل معهم عبد الحليم ومنهم حلمى رفلة وحسام الدين مصطفى. ومع نجومات أفلامه زبيدة ثروت وآمال فريد وزيزى البدراوى ومريم فخر الدين ونادية لطفى ومديحة يسرى. أما سعاد حسنى بطلة أول أفلامه، والتى يعلم الله وحده هل تزوجت عبد الحليم أم لا، فقد قال لى محرم: وحياتك كنا أنا وهيه.. على وشك الذهاب للمأذون.

ظهر محرم فؤاد فى السينما أول مرة عام ١٩٥٩ فى فيلم «حسن ونعيمة» وهو أول ظهور لسعاد حسنى أيضا. وربما كانت هى المرة الأولى التى يتصدر أفيش فيلم وجهان جديان تماما. وزاد من خطورة المغامرة أنهما يجسدان أدوار مطرب ريفى وفتاة فلاحه. أى إنه فيلم بلا رقص ولا إغراء على غير العادة فى السينما المصرية. وزادت الخطورة خطورة أن هذا الفيلم قد تم عرضه بعد تجربة لمطرب آخر لم تنجح وهو كمال حسنى فى فيلم «ربيع الحب» مع شادية لكن الفيلم حقق نجاحا ملحوظا فقد كانت الجماهير قد تابعت قصته كمسلسل إذاعى قبل انتقالها إلى السينما، ثم إن بطل الفيلم يعمل مطربا ريفيا وهو نموذج جديد وتندر فى أبطال أفلامنا، لقد صنع المخرج هنرى بركات من محرم فؤاد بطلا جديدا كما فعل أيضا مع سعاد حسنى.

وفى العام التالى ظهر محرم فؤاد فى فيلمين هما «لحن السعادة» إخراج حلمى رفلة و«وداعا يا حب» إخراج حسام الدين مصطفى. فى الأول غنى محرم «شفت بعينى» و«وانت عنى بعيد» بينما غنى فى الثانى «إوعى تكون بتحبنى يا قلبى».. و«من كام ليلة من كام يوم» و«يا حبيبى قوللى آخرة جرحى إيه».

أطفال أطربوا العالم

وفى عام ١٩٦١ ظهر محرم فى فيلم «نصف عذراء» الذى اتسمت أجواؤه بالكآبة. وقد دخل بطل الفيلم محرم فؤاد السجن ليكون المرة الأولى فى السينما العربية التى يدخل فيها مطرب السجن. مما أبعد محرم عن السينما لمدة عام كامل إلى أن عاد فى فيلم «سلاسل من حديد» إخراج بركات وقد قام فيه مرة أخرى بدور مطرب وغنى فيه «زى ما أكون عطشان وشربت». وبعد أسبوعين فقط بدأ عرض فيلم آخر لمحرم فؤاد هو «من غير ميعاد» وهو الأفضل فى أفلام محرم فؤاد. ومرة أخرى جسّد فى الفيلم دور مطرب ويغنى فيه «خمسة سياحة».

وفى عام ١٩٦٣ ظهر محرم فى فيلم شباب خائن إخراج السيد زيادة ولم يكن ذا قيمة فنية كبيرة. وكان سببا فى أن يرحل محرم إلى لبنان ليبدأ فى تصوير خمسة أفلام أولها «حكاية غرام» إخراج محمد سلمان ويؤدى فيه محرم دور شخصيتين أحدهما شاب قادم من أمريكا إلى بيروت والثانية مطرب وغنى فى الفيلم «محروم». وفى فيلم «الصبا والجمال» إخراج محمد سلمان أيضا غنى «ما تلونيش خدودك.. ما تلبسش حلق» وقام بدور مطرب ينتقم من مطربة علم أنها تبتز أموال والده. وغنى أيضا مع صباح «مش كل السمك سمك إنتى فهمانى».

أما فيلم «عتاب» فقد تم عرضه عام ١٩٦٤ وقامت بالبطولة أمامه المطربة الأردنية سميرة توفيق. وبعد عام تم عرض فيلمه «كده من جديد» ليعود بعده إلى القاهرة ويبدأ فى تصوير فيلم «عشاق الحياة» مع نادية لطفى ومن إنتاج وإخراج حلمى حليم والفيلم قريب الشبه فى قصته مع فيلم عبد الحليم حافظ الناجح «حكاية حب» وهو لنفس المخرج أيضا وقد غنى فيه و «النبي لتكيد العزال» أما آخر أفلام محرم فؤاد فقد تم عرضه ١٩٧٥ لعنوان «الملكة وأنا» إخراج عاطف سالم وغنى فيه «دارى جمالك» و «مراسيل».

أشهر نجوم «الفلجة» فى الفنانين المصريين محرم فؤاد. وعمر الشريف و «الفلجة» هى فاروق بارز بين الستين العلويتين فى الأسنان واسمها العلمى Tias Tima. ويقال إن «الفلجة» تعنى الحظ السعيد، كما أن فيها جمالا. وتميزا لأن وجودها نادر بين الناس. وتعطى لأصحابها جاذبية خاصة عند الابتسام، كما أنها - كما يقول الأطباء - لا تؤثر فى سلامة النطق ومخارج الألفاظ.

وكان محرم يرى أنه محظوظ بالفعل. ووجود «الفلجة» بين أسنانه دليل على ذلك، وفعلا كانت هذه «الفلجة» علامة مميزة لمحرم وساعدته على التميز سينمائيا.

ومحرم لا يخرج عن القاعدة التي التزم بها كل المطربين العرب الذين ظهروا على الشاشة الفضية. فقد التزموا جميعا بأسلوب «تمثيل المطربين» فهم ليسوا جون ترافولتا المطرب الأمريكي الذي أصبح «شجيع السيما» والذي ينطبق عليه المثل الشعبي «قد الكف ويقتل فيه وميت ألف».

فلم يتمسك بأن يكون صاحب صوت حزين وأداء رقيق وهندام جميل. وقد يقترب من جون ترافولتا كل من محمد فوزي. وأحيانا فريد الأطرش.

وما يدل على أن محرم كان يتمتع بدرجة عالية من الذكاء الفني. فلم يستسلم. ويرضى بالغناء في استوديوهات الإذاعة والملاهي، إنما شد الرحال إلى بيروت. وكان كثيرون من أهل الفن قد سبقوه هربا من القوانين الاشتراكية في مصر. و.. بقي هناك من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٥ ثم عاد هربا من الحرب الأهلية في لبنان. صور خلالها خمسة أفلام هي «حكاية غرام» و «عتاب» و «الصبا والجمال» و «ولدت من جديد» و «الملكة وأنا».

وواصلت الصحافة المصرية تجاهلها لمحرم حتى إذا ما أصيب باحتباس في الصوت سافر على أثره إلى سويسرا للعلاج. تحولت الصحافة إلى النقيض، وجعلت من مرضه مادة يومية وزادا لها، وكأن الأمر قد تحول إلى فرصة يظهر فيها محرم بالمطرب الذي توقف عن الغناء ولن يعود. إنها قضية يشتم منها رائحة الشماتة من جانب منافسى المطرب الكبير، لكنه عاد يغنى.

وفي مصر. تعرض محرم للحادث الثاني في حياته فقد صدمته سيارة مسرعة في الشارع أمام منزله بعمارة لبيون بالزمالك.

وفيلم «الملكة وأنا» آخر أفلام محرم في لبنان. قامت ببطولته جورجينا رزق ملكة جمال لبنان. والكون. وهي جميلة جدا لكن صوتها ليس كذلك. وقد اختفى صوتها ليحل محله صوت الإذاعية الكبيرة حكمت الشربيني.

أخرج فيلم «الملكة وأنا» عاطف سالم ١٩٧٥ عن قصة لعلى الزرقاني سيناريو على سالم. وقام هو فيه بدور مرشد سياحي يحب فتاة لبنانية جاءت لنصر في زيارة سياحية. وغنى لها «دارى جمالك دى العيون بصاصة» و «مراسيل وبعتنا المراسيل».

وطبعاً فالفتاة هي جورجينا رزق. التي ربطت الناس بينها وبين محرم بالزواج، ولم يحدث إنما تزوج سيدة لبنانية أخرى لا تقل جمالا عن جورجينا هي ماجدة بيضون وهي مصرية من دمياط وتتكلم المصرية وأنجب منها ابنه الوحيد طارق. ولما انفصلا تزوجت هي دبلوماسي عربي وعاشت معه في دولة إفريقية غير عربية. وعاش طارق معها، وأسس هناك شركة يديرها بنفسه، للاستيراد والتصدير.

حن طارق للغناء. فجاء للقاهرة واستعد لفتح فرع لشركته فيها، حتى يتسنى له أن يغنى ويكمل المسيرة التي توقف عندها والده منذ سنوات. لكن الله وهب طارق الجاذبية والوسامة مثل والده، لكنه لم يشأ أن يورثه جمال الصوت من أبيه.

وكما كان زواج محرم وملكة جمال الكون جورجينا رزق من باب الخلط بين زوجته اللبنانية ماجدة بيضون وبين جورجينا، فإن زواجه من تحية كاريوكا لم يكن إلا إشاعات هكذا قال لي محرم.

منذ ربع قرن تقريبا ذهبنا أنا وزميلي مصور أكتوبر محمد حسن إلى بيت محرم شقة ١١ عمارة لبيون بالزمالك، سحبت العود النائم على إحدى الكنبات لأدندن، فلما استمع إلى الدندنة أسرع بالمجيء ليطلب مني إعادة العزف، وعرف أنه لحن لم يقدر له أن يرى النور لأني اعتزلت التلحين، وقبلها الغناء. من أجل الصحافة.

لم يقتنع بكلمات الأغنية، فاتصل بصديقه الشاعر عمر بطيشة وطلب منه كلمات على وزن الكلمات القديمة للأغنية، وفي بحر ٢٤ ساعة، سجل الأغنية في استوديو الإذاعة، وتم اعتمادى ملحنا من خلالها، أما الكلمات فكان يقول المؤلف في مطلعها:

«حمد الله ع السلامة.. عدينا بالسلامة.. ورجعنا بالسلامة.. من بعد عبورك بينا.. من فوق البحر لسينا.. من نصر لنصر مشينا.. وراك واتبدلت بينا الأيام..»

ومنذ هذا التاريخ انتهت العلاقة الصحفية بيننا لتبدأ علاقة صداقة وحب، على رغم اللقاءات المتباعدة بيننا في عزبته بقرية شيرامنت، وقبل أن ينتهي من بناء فيلا مدينة أكتوبر.

لم تكن ألحان محرم على رغم كثرتها في مستوى صوته القوي الجميل المتميز والمنفرد، فقد كان صوت الرجولة المشحون بشجن داخلي قادرا على التطريب الجميل.

وهذا لا يمنع أنه لحن أغاني كثيرة ناجحة لنفسه منها «قولى بحبك قوللى» و «غدارين».

و «مسا التماسى يا قمر» و «جرح الحبايب» و «الليل الدافى» و «قد غلاوة الحب» و «لو كان الأمر أمرى» و «بحبك يا شبرا» وغيرها.

وسوف يذكر التاريخ الفنى والوطنى لمحرم أنه أول من أعاد بعث نشيد ثورة ١٩١٩ «بلادى.. بلادى» الذى لحنه سيد درويش، ثم أصبح نشيدا شعبيا ونبعة وطنية مصرية كاسحة قبل أن يختاره الرئيس أنور السادات نشيدا قوميا لمصر.

وسينما محرم فؤاد لم تشمل قالب «الدويتو» أو الثنائى، فلم يغن مع مطربات أى حوارات غنائية باستثناء حواراته المسرحية مع عفاف راضى فى مسرحية «دنيا البيانولا» التى أخرجها كرم مطاوع عام ١٩٧٤، مع ملاحظة أن معظم المطربين لهم فى السينما أكثر من دويتو. لكن كل بطلات أفلام محرم لم تكن بينهن مطربة باستثناء صباح وسميرة توفيق. كذلك لم يشارك فى أى أوبريت بعيدا عن مسرحيته «البيانولا» و «القشاط» للأطفال. وعلى رغم قيامه ببطولة غنائية فى مسلسلين للإذاعة هما «حب ونغم» و «حياة كامل الخلعى».

لكن محرم غنى أكثر من قصيدة منها «أنا لا أشكو همى ففى الشكوى انحناء.. وأنا نبض عروقى كبرياء» تأليف كامل الشناوى، و «غنى» «سامحيني» تأليف محمد الماحى، و «مصر لم تنم» لفتحى سعيد و «أبحث عن سمراء» و «الليل الدافى» وغيرها.

و «غنى» محرم لمؤلفين منهم مرسى جميل عزيز، وحسين السيد وعبد الوهاب محمد وصلاح فايز ومحمد الماحى وسهير الطائر وعمر بطيشة وعاطف النمر، وللملحنين منهم فريد الأطرش ومحمد الموجى، وعبد العظيم محمد ورياض السنباطى وإبراهيم رجب، وفاروق الشرنوبى وفاروق سلامة وخالد الأمير.

وتباينت أساليب الأداء عند محرم. تماما كما فعل فريد الأطرش الذى غنى ألوانا شديدة العاطفية. وأخرى شعبية جدا، فقد قدم محرم أغنيات عاطفية رقيقة منها «يا حبيبى قوللى آخرة جرحى إيه» و «انت عنى بعيد» «ندم» «سامحيني» «ولا تلومونى» و «غنى أيضا الأغنية الريفية التى مثلت بداية قوية له عندما غنى فى فيلم «حسن ونعيمة» «رمش عينه» و «الحلوة»، و «غنى بلهجة أولاد البلد وبصوت فيه لمسة تطجين شعبى، فى أغنيات «يا واحسنى رد عليه» و «سلامات» و «يا غزال اسكندراني» و «مسا التماسى» و «أنا عايز صبية» و «ماتلونيش خدودك».

كما غنى عددا قليلا جدا من الأغنيات الخفيفة والمبتسمة منها «هراس جاى» و «خمسة
سياحة» .. و «مش كل السمك سمك إنتى فاهمة» ..
لقد ذكرت بعض الصحف أن لمحرر ٩٠٠ أغنية والحقيقة أنها لا تزيد فى مجملها على
١٨٠ فقط.

وفى كل الألوان التى قدمها كان صاحب صوت متميز، نعتبره ملمحا من ملامح زمن الفن
الجميل، فهو رقيق، خبير، قوى قوة سلسة جداً.
نور